﴿هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِۚ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾﴾ [آل عمران: 119]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

بعد أن نهى اللهُ تعالى المؤمنين عن اتّخاذ الكافرين أولياءَ من دونهم، وكشفَ عن حقائق نفوس الكافرين والمنافقين وما يخفونه في صدورهم، عرَّجَ هنا لبيان حالهم معهم، إذ لا ينبغي أن يكون المؤمنُ على هذه الحال وهذه الشَّاكلة من الهَوَان، فقال: ﴿هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِۚ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾، فأنكر عليهم ذلك بعد أنْ أمَرَهم بترك ولايتِهم.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿خَلَوْاْ﴾: جذر الكلمة (خَلَوَ)؛ خَلاَ يَخْلُو خَلاءً فهو خالٍ، وهو يَدُلُّ عَلَى تَعَرِّي الشَّيْءِ مِنَ الشَّيْءِ. والخَلاءُ من الأرضِ: قرارٌ خالٍ لا شيء فيه. والرَّجل يخلو خَلْوةً. وخَلَا فلانٌ بفلان: صار معه في خَلَاءٍ، وخَلَا إليه: انتهى إليه في خلوة، وفلانٌ خَلا لفلانٍ؛ أي خادعه[1]..

2) ﴿ٱلْأَنَامِلَ﴾: جذر الكلمة هو (نَمَل)؛ أصلُ النّملِ: يدلُّ على تجمُّع شيءٍ، وصِغَرٍ، وخفَّةٍ[2]. والأناملُ جمع: أنمُلة، وهي: طرفُ الإصبَعِ[3]، والأَنْمُلةُ: المَفصِل الأعلى الذّي فيه الظُّفْرُ من الإصْبَع. ورجلٌ مُؤَنمَلٌ الأصابع؛ أي: غليظ أطرافها. ويقال له: نَمِلٌ، نعت له في الغِلَظ[4].

(1) الخليل، العين، وابن دريد، جمهرة اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات، والفيومي، المصباح المُنير: (خلو).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نمل).
(3) الراغب، المفردات: (نمل).
(4) الخليل، العين: (نمل).

3) ﴿ٱلْغَيْظِ﴾: جذر الكلمة هو (غَيَظ)؛ يقال: غِظْتُه أَغيظُه غَيظًا، ويَدُلُّ عَلَى كَرْبٍ يَلْحَقُ الْإِنْسَانَ مِنْ غَيْرِهِ، والتَّغَيُّظُ: الاغتياظ. والغيظ الغضب مطلقًا، أو: غضبٌ كامنٌ للعاجز، أو أشدُّه، أو سَوْرتُه وأوَّلُه، وهو الحرارةُ التي يجدها الإنسان من فوران دم قلبه[1].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

ينبِّهُ اللهُ المؤمنين لأخذِ الحذر من هؤلاء المنافقين من أهل الكتاب، مبيِّنًا شدَّةَ عداوتِهم للمسلمين، فها هو ذا الدَّليلُ الواضحُ على خطئكم في محبتهم، فأنتم تحبونهم وتحسِنون إليهم، وهم لا يحبُّونكم ويحمِلون لكم العداوةَ والبغضاء، وأنتم تؤمنون بالكتبِ المنزَّلة كلِّها ومنها كتابهم، وهم لا يؤمنون بكتابكم، فكيف تحبُّونهم؟ وإذا لقُوكم قالوا -نِفاقًا-: آمنَّا وصدَّقْنا، وإذا خلا بعضُهم إلى بعض بدا عليهم الغمُّ والحزنُ، فعَضُّوا أطرافَ أصابعِهم من شدَّة الغضب؛ لِمَا يرون من أُلْفةِ المسلمين واجتماعِ كلمتهم، وإعزازِ الإسلام، وإذلالِهم به. قل لهم -أيها الرسول-: موتوا بشدَّة غضبكم، وهو دعاءٌ عليهم بدوامِ الغيظ، وزيادتِه بتضاعف قوَّةِ الإسلام وأهلِه، ولا يزالون معذَّبين به حتى يموتوا، فيتنقلوا من عذاب الدنيا إلى عذاب الآخرة. إنَّ اللهَ مُطَّلِع على ما تخفي الصدور، وسيجازي كُلًّا على ما قَدَّم مِن خير أو شر[2].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

دِلَالَةُ الْمَجَازِ الْمُرْسَلِ الْمُرَكَّبِ فِي قَوْلِهِ: ﴿هَـٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾:

لمّا كانَ التّعجيب في الآية من مَجْمُوعِ الحَالَيْنِ؛ قال الله تعالى: ﴿هَـٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾؛ فالعجبُ من محبَّة المؤمنين إيّاهم في حالِ بُغْضِهم لِلْمُؤْمِنين، ولا يُذْكَر بعدَ اسْم الإشارة جملةٌ في هذا التّركيب إلَّا والقصدُ منهُ التَّعجُّبُ من مَضْمُون تلكَ الْجُمْلَة.

صَفَاءُ سَرِيرَةِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ وَقُبْحُ ضَمَائِرِ أَهْلِ الْكُفْرِ

وجملةُ ﴿وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾ حالٌ مِنَ الضَّمير المرفوعِ في قَوْلِه:

(1) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات، والزّمخشريّ، أساس البلاغة، والزّبيدي، تاج العروس: (غيظ).
(2) السّمرقندي، بحر العلوم: 1/242، والبيضاوي، أنوار التّنزيل: 2/35، والسعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 65، ونخبة من العلماء، التفسير الميسر، ص: 65.

﴿تُحِبُّونَهُمْ﴾؛ لأن محلَّ التَّعجيب هو مَجْمُوعُ الْحَالَين[1]، أي: هُمْ لا يُحِبُّونَكُم والحَالُ أنَّكُم تُؤْمِنُون بِكِتَابِهم، وهُم معَ ذَلِكَ يُبْغِضُونَكُم، فَمَا بَالُكُم تُحِبّونَهُم، وهُم لَا يُؤْمِنُونَ بِشَيْءٍ مِن كِتَابِكُم.

وفي هذا تَوْبِيخٌ شديد بأنّهم في بَاطِلِهم أصلَبُ مِنْكُم في حَقِّكم، ونظيره قول الله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ [النساء: 104]، فقوله: ﴿هَـٰٓأَنتُمْ أُولَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾ مجازٌ مرسَلٌ مركَّبٌ؛ إذْ هي جملةٌ خبريَّةٌ أُريدَ بها التَّعجيبُ مع التَّوبيخِ والتَّغليظِ، أو التَّعجيب والتَّنبيه.

وذكَر ابنُ عَاشُورٍ أنّه ليس في هذا التّعجيب شيءٌ مِنَ التّغليظ أوِ التّوبيخ، ولكنّه إيقَاظٌ وتنبيهٌ، ولذلك عَقَّبَهُ بقوله: ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَـٰبِ كُلِّهِۦ﴾؛ فإنَّه بمنزلةِ العذر لِلْمُؤْمِنين في اسْتِبْطَانِهم أهلَ الكتابِ بعدَ إيمان المؤمنين؛ لأنّ المؤمنين لمّا آمنوا بِجَمِيع رُسُل الله وكتُبِهم، كانُوا يَنْسِبُون أهلَ الكتاب إلى هُدًى ذهَبَ زَمَانُه، وأدخلوا فيه التَّحريف، بخِلَافِ أهلِ الكتاب؛ إذ كانوا يَرْمُقُون المسلمين بِعَيْنِ الازْدِرَاءِ والضّلالة، واتّبَاعِ مَا لَيْسَ بحَقٍّ[2].

بَلَاغَةُ الِاكْتِفَاءِ فِي قَوْلِهِ: ﴿هَـٰٓأَنتُمْ أُولَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَـٰبِ كُلِّهِۦ﴾:

قوله: ﴿هَـٰٓأَنتُمْ أُولَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾؛ استئناف ابتدائيٌّ، قُصِدَ منه المُقابلةُ بين خُلُق الفريقَيْن، فالمؤمنون يحبّون أهلَ الكتاب، وأهلُ الكتاب يُبْغِضُونَهُم، والشّأنُ أنَّ المحبّة تَجْلِبُ المحبّة إلَّا إذا اخْتَلَفَتِ المقاصِدُ والأخلاق[3]، وفيه طباقُ سَلْبٍ بين ﴿تُحِبُّونَهُمْ﴾ و﴿وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾.

شَأْنُ الْمَحَبَّةِ أَنْ تَجْلِبَ الْمَحَبَّةَ، إِلَّا إِذَا اخْتَلَفَتِ الْمَقَاصِدُ وَالْأَخْلَاقُ

وقوله: ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَـٰبِ كُلِّهِۦ﴾؛ أي تؤمنون بكتابكم وبما مضى من الكُتُب قبل ذلكَ، وحُذف موقفُهم من كتاب المسلمين، والتَّقدير: تؤمنون بالكتاب كلّه، وهم يكفرون بكتابكم، فكنتُم أحقَّ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/65.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/65 - 66.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/65.

بالبَغْضَاءِ لَهُمْ مِنْهُم لَكم[1]، ولم يُذكَر كُفرهم بالكتابِ لبلوغِهِ في الشَّناعةِ مبلغًا عظيمًا.

دِلَالَةُ قَوْلِهِ: ﴿هَـٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ﴾:

في تَخْصِيصِ الْخِطَابِ مَزِيدُ اعْتِنَاءٍ وَتَنْبِيهٍ

(هَا) من قوله: ﴿هَـٰٓأَنتُمْ﴾ للتَّنْبِيهِ، و(أَنْتُمْ) مبتدأ، وجملة ﴿تُحِبُّونَهُمْ﴾ خبرُه، و(أُولاءِ) يحتَمِلُ أن يكون منادى، أو يكون في محلِّ نصبٍ على الاختصاص[2]، وهما وجهان متقاربَانِ دِلاليًّا، وفيهما مزيدُ عنايةٍ وتنبيهٍ لما سيُذْكَرُ بعدُ.

دِلَالَةُ اللَّامِ فِي ﴿بِٱلْكِتَـٰبِ﴾ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَـٰبِ﴾:

اتِّفَاقُ كُتُبِ اللهِ تَعَالَى فِي أُصُولِ الْعَقَائِدِ وَكُلِّيَّاتِ الدِّيَانَةِ

اللَّام في ﴿بِٱلْكِتَـٰبِ﴾ من قوله: ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَـٰبِ﴾ لِلْجِنْسِ، وأُكِّد بِصِيغَةِ الْمُفْرَدِ (كلّه) مُرَاعَاةً لِلَفْظِهِ ﴿بِٱلْكِتَـٰبِ﴾[3].

وذُكِرتِ الكُتُبُ في قوله: ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَـٰبِ كُلِّهِۦ﴾ بِصِيغَةِ المُفرد؛ للدِّلالةِ على تَوافُقِهَا واتِّحادِ مَصْدَرِهَا، وأنّها متناسبةٌ منسجمَةٌ في مقاصدِهَا الرَّئيسَة الكُلِّيَّة؛ مِن التّوحيدِ والإيمانِ وأركانه، وإسلام الوجهِ للّهِ سبحانه، فمَن آمنَ بواحدٍ مِنْ هذه الكُتب؛ لَزِمَهُ أن يُؤْمِنَ بِجَمِيعِهَا[4].

وقولهُ تعالى: ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَـٰبِ كُلِّهِۦ﴾ أُوِّلَ على إضمار مبتدأ، فتؤولُ الجملةُ اسميّةً، أي: ولا يُحِبُّونكم وأنتم تُؤْمِنُونَ بالكِتَاب كُلِّه[5].

بَلَاغَةُ التَّوْرِيَةِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾:

الْمُرَاوَغَةُ فِي قَضَايَا الْإِيمَانِ كُفْرٌ مُلَوَّثٌ بِخُبْثِ النُّفُوسِ

وقوله: ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾؛ هذا الإخبار جَرى على مُنَازَعَتِهم في التَّوْرِيَة والسّتر والخُبث؛ إذْ لَمْ يَذْكُرُوا متعلّق الإيمان، ولكنّهم يُوهِمُونَ المؤمنين بهذا اللّفظ أنّهم مؤمنُونَ الإيمانَ المعهودَ عند أهل الإسلَام.

(1) النّوَيري، نهاية الأرب: 16/381.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 2/255.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/66.
(4) الزّمخشريّ، الكشّاف: 1/435، وأبو حيّان، البحر المحيط: 3/319، والسّمين، الدرّ المصون: 3/372.
(5) أبو حيّان، البحر المحيط: 3/319.

وقوله: ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ﴾؛ أي منافقو اليهود قالُوا نفاقًا: ﴿ءَامَنَّا﴾ أي: برسالة مُحَمَّد، وهذا المعنى القريب إلى أذهانِ السّامعين، فيفهمون منهم أنّهم قد آمنوا فعلًا، والمعنى البعيدُ وهو قصدهم والمُراد عندهم هنا: (آمنّا بكتابنا ولم نؤمن بكتابكم)، ويرشّح هذه التّورية قوله: ﴿وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾؛ أي: "عضُّوا لأجل غَمِّهم منكم أطرافَ الأصابع مِن شدَّة الغَضَب؛ أي: فَإِذَا رَجَعُوا إلى بَعْضِهم أَظْهَرُوا شدّة العداوَةِ على المُؤْمِنِينَ حتَّى تَبْلُغَ تِلْكَ الشِّدَّةُ إلى عضِّ الأنامل"[1].

ويحتَمِلُ أن التَّوريَةَ في قوله: ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾، وأنَّهم قالوا ذلك مُدَّعين أنَّهم يُؤمنونَ الإيمانَ الكاملَ، بدليلِ حذفِ متعلّق الفعل المؤذِن بالعمومِ، وأنَّ مقالتَهم هذه جاريةٌ على طريقتِهم في الكذبِ والتَّضليلِ.

دِلَالَةُ جِنَاسِ الِاشْتِقَاقِ بَيْنَ ﴿وَتُؤْمِنُونَ﴾ و﴿ءَامَنَّا﴾:

ادِّعَـاءُ الْمُنَـافِقِ الْإِيمَانَ وَرُكُونُهُ إِلَى الْكُفْرِ وَأَهْلِهِ سِمَةٌ مُتَأَصِّلَةٌ فِي الْمُنَافِقِينَ

قوله: ﴿وَتُؤْمِنُونَ﴾ عائدةٌ على المؤمنينَ أَنْفُسِهم، وَهُوَ فعلٌ مُضارِعٌ يُفِيدُ معنى التّجدُّدِ والاسْتِمْرَارِ، وهُوَ مُنَاسِبٌ لِحَالِ الْمُؤْمِنِينَ، وقولُه: ﴿ءَامَنَّا﴾ فعلٌ مَاضٍ راجعٌ إِلَى الكَافِرِين أَوِ المُنافقين.

وبَيْنَ ﴿وَتُؤْمِنُونَ﴾ و﴿ءَامَنَّا﴾ جِنَاسُ الِاشْتِقَاقِ، وفائدتُهُ: بَيَانُ أُسْلُوبِهم في تَقْلِيد المؤمنين والتّظاهُرِ بأنّهُم مِنْهُمْ.

دِلَالَةُ الْمَجَازِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِذَا خَلَوْاْ﴾:

كَيْدُ الْمُنَافِقِينَ فِي مَجَالِسِهِمْ بِأَهْلِ الْإِيمَانِ

قولُه: ﴿وَإِذَا خَلَوْاْ﴾، أي: خَلَا بعضُهم ببَعْضٍ وانْفَرَدُوا دُونكم، والمقصودُ: خَلَتْ مَجَالِسُهُمْ منكم، فَأُسْنِدَ الخُلُوُّ إليهم على سَبِيلِ الْمَجَازِ[2]، وَفَائِدَتُهُ: الكَشْفُ عمّا آلَ بِهِمُ الْحَالُ، أنّهم يَعَضُّون الأنامل

(1) الجاوي البنتني، مراح لبيد: 1/149.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 3/320.

مِنَ الغَيْظِ على أهل الإيمان مَا دَامُوا لَيسَ مَعَهُمْ، والتَّعبيرُ بالمجازِ ﴿وَإِذَا خَلَوْاْ﴾ أخصرُ من لو قيل: خلت مجالسُهم مِنكُم.

بَلَاغَةُ الْكِنَايَةِ فِي قَوْلِهِ: ﴿عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾:

قوله: ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾، أي: نفاقًا وتَغريرًا أو توريَةً وتَعْمِيةً، ﴿وَإِذَا خَلَوْاْ﴾ أي: خلا بعضُهم ببَعْضٍ، ﴿عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ﴾ أي: أطرافَ الأصابعِ، ﴿مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾؛ أي: بسببِ شدّة الغضَبِ لِمَا يَرَوْنَ مِن ائْتِلَاف المُؤْمِنِين واجتماع كَلِمَتِهم[1]، فـ ﴿مِنَ﴾ سبَبِيَّةٌ.

إِذَا اضْطَرَبَ بَاطِنُ الْإِنْسَانِ صَدَرَ عَنْهُ مَا يُنَاسِبُ اهْتِيَاجَهُ

والعَضُّ: شدُّ الشَّيءِ بالأسنَانِ، وعضُّ الأنامِلِ: كنايةٌ عَنْ شدّة الغَيْظِ والتّحسّر، وإنْ لَم يَكُنْ عضٌّ الأنامِلِ واقعًا حسًّا، لأنَّ المعنى اللَّازمَ في الكنايةِ لا يَتَعيَّنُ قصدُهُ، فالكناية بعضِّ الأنامل عن شدَّة الغَيْظِ والتحسُّرِ هو بِحَسَب المُتعَارَفِ، وذلك أنَّ الإنسانَ إِذَا اضْطَرَب باطنُه مِنَ الانْفِعَالِ؛ صَدَرَتْ عَنْهُ أفعالٌ تُنَاسِبُ ذلكَ الانفعالَ[2]، فهي هيئةٌ في بَدَنِ الْإِنْسَان تَتْبَعُ هَيْئَةَ النّفسِ الغاضِبَةِ، كما أنّ ضَرْبَ اليدِ علَى الْيَدِ يَتْبَعُ هيئةَ النّفس المتلهِّفة على فَائِتٍ قَرِيب الفَوْتِ، وكما أنَّ قَرْع السِّنّ هيئة تَتْبَع هيئة النّفس النَّادمة، إلى غير ذلك من عَدِّ الحصَى والخطِّ في الأرضِ لِلْمَهْمُومِ ونَحْوِه[3].

وفي التَّعبير بالكناية دلالة على الصِّفةِ المرادِ إثباتُها، مقرونةً بدليلِهَا، مصوَّرةً بصورةٍ يستحضِرُهَا الفكرُ والخيالُ.

بَرَاعَةُ التَّمْثِيلِ فِي قَوْلِهِ: ﴿عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾:

يَحْتَمِلُ أن يكُونَ قَوْلُ اللّهِ تعالى: ﴿عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ من مجاز التَّمثيلِ، عُبِّر بذلك عن شدَّة الغَيْظِ، والتَّأسُّف على ما يَفُوتُهم مِن إِذَايَة المؤمنينَ.

امْتِلَاءُ بَوَاطِنِ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ بِالْحِقْدِ وَالْبُغْضِ وَالْحَسَدِ لِأَهْلِ الْإِيمَانِ

(1) الشّربيني، السّراج المُنير: 1/242.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/66.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 3/320.

ونبَّه تعالى بهذهِ الآية على أنَّ مَن كان بهذه الأوصافِ مِنْ بُغْضِ المُؤْمِنين، والكُفْرِ بالقُرآن، والرِّياءِ بِإِظْهَارِ ما لا تَنْطَوِي عَلَيْهِ بَواطِنُهُم، حريٌّ بِأَنْ لا يُتَّخذ صَدِيقًا[1].

دِلَالَةُ الْأَمْرِ فِي قَوْلِهِ: ﴿مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ﴾:

مِنْ سُبُلِ جِهَادِ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ جِهَادُهُمْ بِالْكَلِمَةِ

ظاهرُ قولِه تعالى: ﴿قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ﴾ أنّ النَّبيَّ ﷺ أُمِرَ بِأَنْ يقولَ لَهُمْ ذَلِكَ، و﴿مُوتُواْ﴾ صيغةُ أمرٍ، ومعناها الدُّعاء؛ فقد أَذِنَ اللهُ تعالَى لِنَبِيِّه ﷺ أَنْ يَدْعُوَ عليهم لَمَّا يَئِسَ مِن إيمَانِهم، ولَهُ أَنْ يَدْعُوَ مُوَاجَهَةً.

ويحتَمِلُ أنَّ المأمورَ هو النَّبيُّ ﷺ وأُمَّتُهُ أَنْ يُوَاجِهُوهُمْ بِهَذا، وَعَلَى هَذَا الوجهِ؛ فالأمر يُرادُ به التَّقْرِيعُ والتَّوبيخُ، كما أفادَهُ ابنُ عطيَّة[2].

ويحتَمِلُ أن يكون ﴿قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ﴾ في صورة الأمر، ومعناه الخبر[3]، ويكون المرادُ به التَّوبيخ والتَّقريع أيضًا.

وحملُ الخطاب في ﴿قُلْ﴾ على إرادة النَّبيِّ ﷺ جارٍ على الأصلِ في إرادةِ التَّعيينِ بالخطاب، وإذا حُمِلَ على أنَّ المراد به هو وأُمَّتُهُ؛ كان الخطاب خارجًا عن الأصلِ في إرادةِ التَّعيينِ قصدًا إلى العُمُوم.

دِلَالَةُ الْبَاءِ فِي قَوْلِهِ: ﴿قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ﴾:

قُوَّةُ الْإِسْلَامِ وَعِزَّةُ أَهْلِهِ مِنْ أَكْبَرِ مَا يَغِيظُ أَعْدَاءَ الْحَقِّ

الْبَاءُ فِي قَوْلِهِ: ﴿بِغَيْظِكُمْ﴾ دالَّةٌ على الْحَالِ، أي: تَمُوتُونَ وَمَعَكُم الغَيْظُ، وهو على جهة الذَّمِّ على قَبِيحِ عَمَلِهم[4].

وقال الزَّمَخْشَرِيُّ: هُوَ دعاءٌ عَلَيْهِمْ بأن يَزْدَادَ غَيْظُهُم حتَّى يَهْلَكُوا به، والمرادُ بِزِيَادَةِ الغَيْظِ: مَا يَغِيظُهم مِنْ قُوَّةِ الْإِسْلَامِ وعِزَّةِ أَهْلِهِ، وما لهم في ذلك مِنَ الذُّلِّ والخِزْيِ والتَّبارِ[5]، ويَكُونُ مَا قالَهُ

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 3/321.
(2) ابن عطية، المحرر الوجيز: 1/496.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 3/321.
(4) أبو حيّان، البحر المحيط: 3/321.
(5) الزّمخشريّ، الكشّاف: 1/434.

الزَّمخْشَرِيُّ يُشْبِهُ قولَهم: مُتْ بِدَائِكَ، أي: أَبْقَى اللّٰهُ داءَكَ حتَّى تمُوتَ بِهِ. وأوردَ أبو حيَّانَ على هذا أنَّه يمتنِعُ أن يكون أَمْرًا جازمًا، لأنّه لو كان أمرًا؛ لماتُوا من فَوْرِهم، ولَيْسَ هُوَ بِدُعَاءٍ؛ لأنّه لو أمَرَ اللّٰهُ تعالَى نبيَّهُ ﷺ بالدُّعاء لَمَاتُوا جَميعُهُم على هذه الصِّفة؛ إذْ دَعْوَتُهُ ﷺ لَا تُرَدُّ، والواقعُ أنَّه قد آمَنَ مِنْهُمْ بَعْدَ هذهِ الْآيَةِ كثيرٌ[1]، فدلَّ هذا على أنَّ الكلام سيقَ مساقَ الذَّمِّ والتَّوبيخِ على عملهم القبيحِ.

دِلَالَةُ الْفِعْلِ ﴿قُلْ﴾ فِي: ﴿قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ﴾:

الاِسْتِبْشَارُ بِوَعْدِ اللهِ تَعَالَى وَرَجَاءُ نَصْرِهِ مِمَّا تَطِيبُ بِهِ النَّفْسُ

يَحْتَمِلُ أَنْ لا يُرادَ بقَوْلِ اللّٰهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ﴾ الأمر بالقولِ المسموعِ، وإنَّما المرادُ: حدِّثْ نفسَكَ بذلك؛ والقصدُ منه: الأمرُ بطِيبِ النَّفْسِ وقوَّةِ الرَّجاءِ والاستبشار بوعدِ اللّٰه تعالى أن يهلكَ أعداءُ الإسْلَامِ غيظًا بِإِعْزَازِ الْإِسْلَامِ وإِذْلَالِهِم بِه[2].

خُرُوجُ الْخِطَابِ عَنْ إِرَادَةِ الْمُعَيَّنِينَ فِي قَوْلِهِ: ﴿قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ﴾:

مِنْ جَلَالِ خِطَابِ الْقُرآنِ الْكَرِيمِ وَجَمَالِهِ صَلَاحِيَتُهُ لِكُلِّ زَمَانٍ يُقْرَأُ فِيهِ

قوله: ﴿قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ﴾ لا يُرادُ به مُخَاطَبُون مُعَيَّنون؛ لأنَّه دعاءٌ عَلَى الذين يعضُّون الأنامل مِنَ الغَيْظِ، وهُم يَفْعَلُونَ ذَلِكَ إذَا خَلَوْا، وقد لا يتأَتَّى مُشَافَهَتُهُم بالدُّعاء على التَّعيين، ولكنّهُ كلامٌ قُصِدَ إِسْمَاعُهُ لِكلّ مَن يَعْلم مِن نَفْسِهِ الاتِّصافَ بالغَيْظِ عَلَى المُسْلِمين، فهو مِنَ الْخِطَابِ الذي يُقْصَدُ بِهِ عُمُومُ كلِّ مُخاطَبٍ كالواردِ في قولِهِ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمْ﴾ [السجدة: 12][3]، فهو وإن وردَ في مَجْمُوعَةٍ مَخْصُوصَةٍ كانَتْ عَلَى هَذهِ الحالِ علَى عَهْدِ رَسُولِ اللّٰه ﷺ، إلَّا أنَّ المرادَ كلّ قومٍ يتّصفُونَ بِذَلِكَ علَى تطاوُلِ الزَّمَنِ وتتابُعِهِ.

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 3/321.
(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 1/407.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/67.

نُكْتَةُ التَّكْرَارِ فِي قَوْلِهِ: ﴿مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ و﴿بِغَيْظِكُمْ﴾:

التَّكْرَارُ يَشُدُّ الذِّهْنَ إِلَى الاِهْتِمَامِ بِالْمَعَانِي

تكرّرت مادَّةُ (الغَيظ) في هذهِ الآيَةِ الكَرِيمَةِ؛ اهْتِمَامًا بِكشف الحالِ السَّيِّئَةِ التي اعْتَرَتْ هَؤُلَاءِ، فظَهَرَتْ في أَفْعَالِهِم وحَرَكَاتِهِم وتَصَرّفَاتِهِم وأَقْوَالِهِم، وفَضْحًا لِمَا طَفَحَ مِمَّا في صُدُورِهِم مِنَ الغَيْظِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، فَقَدْ بَدَا وظَهَرَ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ، ومَا تُخْفِي صُدُورُهُم أَكْبَرُ وأعظَمُ.

دِلَالَةُ الْكِنَايَةِ فِي قَوْلِهِ: ﴿بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾:

سَعَةُ عِلْمِ اللهِ تَعَالَى وَإِحَاطَتُهُ بِظَوَاهِرِ الْعَبْدِ وَبَوَاطِنِهِ

(الذّات) لَفْظٌ مُشْتَرَكٌ، والمرادُ هنا: تأنيث (ذي) الذي بِمَعْنَى صَاحِبٍ، فأصلهُ هُنَا: عَلِيمٌ بِالْمُضْمَرَاتِ ذَوَاتِ الصُّدُور، ثمَّ حُذِفَ الموصوفُ، وأُقِيمَت الصِّفةُ مُقَامَهُ.

ومَعْنَى صَاحِبَةِ الصُّدُور: المُلازمةُ لَهُ، التي لا تنفكُّ عنه؛ كما تقول: فلان صاحبُ فلان، ومنهُ: أصحابُ الجنَّةِ وأصحَابُ النَّارِ[1]، فَهِيَ كِنَايَةٌ عَنْ مَوْصُوفٍ، وَهِيَ الأَسْرَارُ التي مَنْشَؤُها ومحلُّها فِيهِ.

بَلَاغَةُ التَّذْيِيلِ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾:

عِلْمُ اللهِ تَعَالَى بِالسِّرِّ وَأَخْفَى

قَوْلُه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ يَجُوزُ أَن يَكُونَ من جُمْلَةِ مَقُولِ القولِ، والمعنى: أَخْبِرْهُم بِمَا يُسِرُّونه من عَضِّهِمُ الأناملَ غيظًا إذا خَلَوْا، وقُل لَهُمْ: إنَّ اللّه عليمٌ بِمَا هُوَ أَخْفَى مِمَّا تُسِرّونَهُ بَيْنَكُم، وهو مُضْمَرَاتُ الصُّدُور، فلا تظنُّوا أنَّ شيئًا من أسراركم يَخْفَى عَلَيْهِ.

ويَحْتَمِلُ أَن لا يكون قولُه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ مِنْ جُمْلَةِ مَقُولِ القول، فيَكُونُ تَذْيِيلًا لِمَا قَبْلَهُ من ذِكْرِ طبَائع الكُفّار، وما يُسرّونه وما يُعلنونه من الغلّ والحقد على المُسلمين، فهو سُبْحَانَهُ يَعْلَم السِّرّ وأَخْفَى وما تُكِنّهُ صدُورُهم، والمعنَى: قُل لَهُمْ ذَلِكَ، ولا تَتَعَجَّبْ من

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 3/322.

إطْلَاعِي إيَّاك على مَا يُسِرُّون، فإنّي أعلَمُ مَا هُو أَخْفَى مِن ذلك، وهو مُضْمَرَاتُ صُدُورهِم لَمْ يُظْهِرُوه بألسِنَتهم[1]، فَالْجُمْلَةُ تَذْيِيلٌ لقوله: ﴿عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِۚ﴾، ومَا بَيْنَهُمَا كالاعْتِرَاضِ[2]، وهو تذييلٌ جارٍ مجرى المثَلِ؛ لاستقلالِهِ بالإفادَةِ وعدمِ افتقَارِهِ إلى ما قبلَهُ في الكشفِ عن أصلِ معناهُ.

❁ الفُرُوقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الغيظ والغضب:

ميَّز ابن دريد بين (الغيظ) و(الغضب)؛ فقال: الغيظ أشدُّ من الغضب. وقال أيضًا: (الغيظ) سَوْرَةُ الغضب وأوّله، و(الغيظ) هو الكمين، و(الغضب) هو الظاهر. أو (الغضب) للقادر و(الغيظ) للعاجز. (غاظه) يغيظه غيظًا، وهو غائظ، وذلك مغيظ[3]. فقال الله في الآية: ﴿مِنَ ٱلْغَيْظِۚ﴾؛ لبيان عجزهم، وعادةً عضُّ الأنامل يكون من الغيظ لا من الغضب، وفيه بشارة للمؤمنين أنَّ هؤلاء الذين قصدوا ضررَكم لا يضرُّون إلا أنفسهم، وأنَّ غيظهم لا يقدرون على تنفيذه[4]، ولأن الغضب يكون مصحوبًا بالقوَّة، ونفادِ الصَّبرِ والبطش.

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 3/321 - 322.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/67.
(3) الزبيدي، تاج العروس: (غيظ).
(4) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 65.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس، سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 5 ، 800 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-57-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 5 : سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-57-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1170694 بتاريخ 2023/03/14م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»